التعاطف مع صاحب الاعتقاد المخالف

قراءة في النصوص المقدسة :

اليهودية – المسيحية – الإسلامية

د ٠ جمال الحسيني أبوفرحة (*)

مقدمة :

لا شك أن العداوة ليست مغنما! والصداقة ليست مغرما!. ولم يعد أمام أبناء آدم خيار في التعايش مع بعضهم البعض ما تحققت ركائز التعايش – من عدل وحرية وحوار وإحسان– إن لم يكن لتحقيق المغانم المرجوة فدرءا للمغارم والمخاطر المحدقة التي تهددهم جميعا!.

وكثيرا ما يُعتقد بأن الدين لم يعد له تأثير في ترسيخ الصداقة أو إثارة العداوة في البلدان العلمانية المتقدمة؛ ولكن الواقع بخلاف ذلك:

ففي استطلاع للرأي نشرته صحيفة Associated Press(١) الأمريكية عام ٢٠٠٥م وجد أن نسبة الذين يؤيدون المزج بين الدين والسياسة ممن شملهم الاستطلاع من دول العالم المتقدم كانت كما يلي: في فرنسا ١٢%، وفي بريطانيا ٢٠% وفي أستراليا ٢٢%، وفي كندا ٢٥%، وفي أمريكا ٣٧%. وفي أمريكا العلمانية نجد عبارة In God We Trust مطبوعة خلف الدولار الأمريكي. وفي بريطانيا العلمانية وإلى يومنا هذا تقف الملكية البريطانية على

(*) أستاذ علم الكلام والمذاهب والأديان المساعد – قسم الفلسفة – كلية الآداب – جامعة السويس.

(١) Associated Press, June, ٢٠٠٥

رأس الكنيسة الإنجليكانية(١). وفي فرنسا العلمانية نجد أكثر من نصف جدول العطل الرسمية مقتبس من الأعياد المسيحية وخاصة الكاثوليكية!(٢).

أما في الدول غير العلمانية فحدث ولا حرج عن أثر الدين في رسم العلاقات بين أبناء آدم أجمعين، ومن أعظم المشاهد لذلك ما نراه من دور سياسي لزعماء دينيين، ودور ديني لزعماء سياسيين: ففي الفاتيكان نجد أن رأس الكنيسة الكاثوليكية هو حاكم دولة الفاتيكان! وفي مصر لا يخفى الدور السياسي البارز لرأس الكنيسة الأرثوذكسية في عصرنا هذا!. أما علماء المسلمين فيعلنون صراحة أن الإسلام دين شامل يتدخل في كل كبيرة وصغيرة في حياة المسلم، ومن ذلك علاقاته بغيره من أبناء آدم.

ولما كان للدين هذا التأثير وبحكم تخصصنا في دراسة الأديان كان وقوفنا أمام التأصيل الديني للعلاقة بين المؤمنين والكفار في الأديان الإبراهيمية الثلاثة، فجاءت دراستنا هذه – كحلقة في سلسلة دراسات لنا حول هذا الموضوع– لتسلط الأضواء على النصوص المقدسة المتعلقة بالتعاطف مع

---

(١) فالملك أو الملكة في المملكة المتحدة هو رأس الكنيسة الإنجليكانية، ويحمل لقب "حامي الإيمان وحامي العقيدة".

(٢) فمن جملة عشرة عطلات رسمية في فرنسا نجد ست عطلات دينية: وأربع عطلات غير دينية.

فالدينية هي: (Jour de l'an يوم رأس السنة الميلادية، Lundi de Pâques اثنين القيامة،Jeudi de l'Ascension خميس الصعود، Lundi de Pentecôte اثنين العنصرة،L'Assomption de la Vierge عيد انتقال العذراء، La Toussaint عيد جميع القديسين).

وغير الدينية هي: (Fête du Travail عيد العمل. Victoire des alliés عيد انتصار الحلفاء، Fête nationale العيد الوطني،Armistice عيد الهدنة).

صاحب الاعتقاد المخالف محاولة منا للوقوف على حقيقة دعوة الأديان الإبراهيمية الثلاثة إلى التعايش المثمر البناء مع مخالف الملة، هل تدعمه أم تنقضه؟!

وبقدر التوازن النفسي الذي تطرحه نصوص الأديان المقدسة وما ينبثق عنه من مشاعر إنسانية وأخلاق حميدة تسعى لتتجسد عمليا في مجموعة من الممارسات العملية تتمايز الأديان: فيتضح باطلها من صحيحها، ومكتملها من ناقصها؛ **ومن ثمة تتجلى أهمية دراستنا هذه؛** فالتعاطف ليس مجرد شعور داخلي بمعزل عن الأخلاق العملية.

فإن تشابهت أديان في دعم هذا الشعور تجاه الآخر، فلا شك أن لفت الانتباه إلى بعض وجوه الالتقاء بين هذه الأديان يستثير رغبة المؤمنين بها في التوافق والاتفاق في مواطن النزاع. **وكل ذلك يدعم الحق ويرسخ التعايش، وهو ما تصبو إليه دراستنا هذه.**

وإن لم توجد نصوص في دين ما تحث على التعاطف مع صاحب الاعتقاد المخالف، أو لم تدل النصوص صراحة على ذلك، أو دلت على عكس ذلك؛ فإن إظهار التعاطف مع أصحاب هذا الدين يعمل على تخفيف حدة مشاعر التوتر والخوف والغضب لديهم وما ينبني على ذلك من حيل دفاعية ومواقف عدوانية، ويخلق جوا ملائما لتغيير السلوك وتعديله؛ فبدرجة أو بأخرى يتم رفض النصوص العدائية، أو تأويلها لصالح التعاطف مع صاحب الدين المخالف. **وكل ذلك يدعم السلام ويرسخ الوئام، وهو ما تصبو إليه دراستنا هذه.**

ودراستنا هذه عن التعاطف تدور حول مظهر من مظاهر ركيزة من ركائز التعايش ألا وهي الإحسان؛ لتخرجه من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل، وهو مظهر ذو بعدين: نفسي وعملي.

مدخل إلى الدراسة

أولا: حدود الدراسة:

لقد آثرنا تخصيص دراستنا هذه بـــ "صاحب الاعتقاد المخالف" لما يلي:

- سعة الموضوع.
- إن التعاطف مع صاحب الاعتقاد المخالف موضـــع خـــلاف ونـــزاع عنـــد أصحاب الأديان محل الدراسة.
- إن صاحب الاعتقاد المخالف – في الأعم والأغلب عبر التاريخ– كان معاديا بدرجة أو بأخرى؛ ومن ثمة فتحقق التعاطف معه لا شك يعني تحققه نحـــو من هو أولى بذلك منه: من موافق في الاعتقاد، ومحب، وحليف...إلخ.

ثانيا: أسئلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن التساؤل التالي:

ما موقف النصوص المقدسة في الأديان الثلاثة: (اليهودية، المسيحية، الإسلام) من التعاطف مع صاحب الاعتقاد المخالف؟

ثالثا: أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

- تقليل حدة الخلاف بسد فجوة الزائف من الاختلاف بين أصحاب الأديان محل الدراسة.
- ترسيخ التعايش المثمر البنّاء بين المؤمنين بأي من النصوص المقدسة موضع الدراسة وغيرهم.
- الإسهام في تقديم ميزان عملي يمكن أن تقاس به صحة الأديان واكتمالها؛ وذلك أن الدعوة الأخلاقية للأديان – بحسب قراءتنا للنصوص– هي هدفها الأسمى[1] وتعد دليلا عمليا على صحة الدين إن صحت وعلى اكتماله إن

(١) وهو ما تشهد له نصوص مقدسة في الأديان الثلاثة موضع الدراسة: =

كملت. إلا أن هذا الميزان لا يتجلى إلا بدراسة موسعة مقارنة للأخلاق في الأديان المختلفة ولعل دراستنا هذه تكون لبنة لتلك الدراسة المهمة. والتعاطف ليس مجرد شعور نفسي بمعزل عن الأخلاق فالتعاطف شعور يسعى ليتجسد عمليا في مجموعة من الممارسات الأخلاقية.

= يقول العهد القديم: "فِعْلُ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ أَفْضَلُ عِنْدَ الرَّبِّ مِنَ الذَّبِيحَةِ". سفر الأمثال: ٢١: ٣. ويقول على لسان الرب: "لَسْتُ أُطِيقُ الإِثْمَ وَالاعْتِكَافَ. ... حِينَ تَبْسُطُونَ أَيْدِيَكُمْ أَسْتُرُ عَيْنَيَّ عَنْكُمْ، وَإِنْ كَثَّرْتُمُ الصَّلاَةَ لاَ أَسْمَعُ. أَيْدِيكُمْ مَلآنَةٌ دَمًا". إشعياء ١: ١٣- ١٥. وانظر ٥٨: ١- ٩.

ويقول العهد الجديد على لسان المسيح ﵇: "إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً". إنجيل متى: ٩: ١٣. بل وتجعل المسيحية من الالتزام الخلقي مع الناس الخطوة الأولى في الطريق نحو الله: فيقول العهد الجديد على لسان المسيح ﵇: "فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ، وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيكَ شَيْئًا عَلَيْكَ* فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ، وَاذْهَبْ أَوَّلاً اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ، وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ". إنجيل متى٥: ٢٣- ٢٤.

ويقول النبي ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق". رواه: أحمد، ومالك، والبخاري في الأدب المفرد، والحاكم، والبيهقي في الشعب، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة. وعند بعضهم: "لأتمم صالح الأخلاق". وكذلك يجعل الإسلام من الالتزام الخلقي مع الناس الخطوة الأولى في الطريق نحو الله؛ فيقول النبي ﷺ: "لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ". رواه أبو داود في سننه في باب في شكر المعروف من كتاب الأدب برقم ٤١٧٩، بل ويجعله الخطوة الأعظم؛ فيقول النبي ﷺ:"أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُسْنُ الْخُلُقِ". رواه البخاري في الأدب المفرد، في بَاب الرِّفْقِ برقم ٤٦٠، ويقول النبي ﷺ: "إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا". رواه البخاري في صحيحه في باب حسن الخلق من كتاب الأدب برقم ٥٦٠٢، ويقول النبي ﷺ: "الْخُلُقُ الْحَسَنُ يُذِيبُ الْخَطَايَا كَمَا يُذِيبُ الْمَاءُ الْجَلِيدَ، وَالْخُلُقُ السُّوءُ يُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ". رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم ١٠٦٣٣.

رابعا: منهج الدراسة وضوابطها:

ومنهجنا في هذه الدراسة هو: المنهج الاستقرائي التحليلي الاستنباطي النقدي المقارِن للنصوص المتعلقة بموضوع البحث.

وفي دراستنا هذه آثرت الترتيب الزمني في العرض بقدر الإمكان فابتدأت بالنصوص اليهودية ثم أتبعتها بالمسيحة ثم أعقبتها بالنصوص الإسلامية؛ وإن لم ألتزم بالترتيب الزمني في عرض النصوص داخل كل دين؛ ففي حديثي عن اليهودية قدمت النصوص التلمودية على نصوص العهد القديم؛ مراعاة لوصل الحديث عن العهدين القديم والجديد؛ حتى يتضح موقف النصارى الذين يؤمنون بالعهدين. ولم أفصل في حديثي بين القرآن والسنة فصلا كاملا فتحدثت عنهما تحت عنوان موحد هو قراءة في النصوص الإسلامية لتداخل الحديث في كثير من الأحيان وصعوبة الفصل بينهما. والأصل الذي اعتمدناه في ترتيب نصوص القرآن والسنة – ما لم يدع داع إلى خلاف ذلك– هو تقديم السنة على القرآن انطلاقا من إيماننا بأولوية ترتيب الأدلة تصاعديا من الأضعف إلى الأقوى(١).

وقد ترخصنا فيما يشفع للتعاطف مع صاحب الاعتقاد المخالف؛ فلم نر بأسا من الاستشهاد بالضعيف من الأحاديث النبوية؛ أما ما لا يشفع للتعاطف مع صاحب الاعتقاد المخالف، فاشترطنا فيه الصحة التامة؛ وذلك من منطلق إيماننا بأن الحث على "التعاطف مع صاحب الاعتقاد المخالف" هو من فضائل الأعمال، وعامة العلماء يجوزون الأخذ بالضعيف في الحث على فضائل الأعمال، بل دون بيان لضعفه(٢)؛ أما النهي عن "التعاطف مع صاحب الاعتقاد

(١) راجع لمزيد من التفصيلات حول ترتيب الأدلة كتابنا: الحوار مع الآخر، خطأ ترتيب الأدلة من الأقوى للأضعف، ص ١٨٦: ١٨٨.

(٢) قال ابن الصلاح: "يجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل في الأسانيد ورواية ما سوى الموضوع من أنواع الأحاديث الضعيفة من غير اهتمام ببيان ضعفها فيما سوى صفات الله تعالى وأحكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرها. وذلك كالمواعظ، والقصص،=

المخالف" فهو من أحكام المعاملات، وأحكام المعاملات لا يقبل فيها إلا الصحيح، إلا إن كان الضعيف غير معارض بنص صحيح صريح، وكان الموضع موضع احتياط، وكان مندرجا تحت أصل معمول به في الشريعة(١).

وقد كان اعتمادنا على نصوص الكتاب المقدس في الطبعة المنشورة على الموقع الإلكتروني لكنيسة الأنبا تكلا هيمانوت التابعة للكنيسة المصرية الأرثوذكسية(٢) ما لم ننص على خلاف ذلك.

وعند الاقتباس من مراجع الدراسة ومصادرها حرصت على الإشارة إلى ما يُسهّل رجوع القارئ إلى موضع النص المقتبس مهما اختلفت الطبعات؛ فكان حرصي على ذكر الباب، والفصل...الخ، أكثر من حرصي على ذكر ما يتغير بتغير الطبعات.

خامسا: مصطلحات الدراسة:

١- **التعاطف في اصطلاح دراستنا**(٣): هو رقة في القلب تعرض لموقف يمر به المتعاطف معه من حزن أو فرح تقتضي التجاوب معه.

=وفضائل الأعمال، وسائر فنون الترغيب والترهيب، وسائر ما لا تعلق له بالأحكام والعقائد. وممن روينا عنه التنصيص على التساهل في نحو ذلك عبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل رضي الله عنهما". ابن الصلاح، علوم الحديث، ص١٠٣.

(١) فإنه إن كان صحيحا في نفس الأمر، فقد أعطي حقه من العمل، وإلا لم يترتب على العمل به مفسدة تحليل ولا تحريم، لأن العمل به هو عمل بالأصل العام. ولمزيد من التفصيلات انظر كتاب: العزامي: خطورة مساواة الحديث الضعيف بالموضوع، وكتاب: محمد زكي إبراهيم: وظيفة الحديث الضعيف في الإسلام وأقوال كبار أئمة السلف والخلف فيه.

(٢) http://st-takla.org/Bibles/BibleSearch/search.php

(٣) تدور المعاني اللغوية لمادة عطف حول المعاني التالية: الميل، الانحناء، الانعطاف، الانثناء. انظر ابن منظور: لسان العرب، مادة عطف؛ والزبيدي: تاج العروس، مادة عطف.

والتعاطف لفظة لم أجدها في جميع الكتب المقدسة موضع الدراسة، وكثيرا ما عبرت النصوص المقدسة عن التعاطف بالرأفة والرحمة؛ قال أبو البقاء الكفوي:[١] "الرَّحْمَة هي أن يوصل إليك المسار، والرَّأفة هي أن يدفع عنك المضار". ومعنى ذلك أن تحقق الرحمة يقتضي تحقق الرأفة أولا.

٢- **صاحب الاعتقاد المخالف:** ونقصد به كل من خالف غيره في ركن من أركان إيمانه.

٣- **الكتب المقدسة اليهودية**، وهي: (التلمود، والتناخ).

والتلمود: كلمة عبرية معناها التعلم[٢]، وينقسم إلى قسمين: الأول: المشنا: وهي مجموعة الأحكام والتعاليم والتفاسير والوصايا التشريعية التي تناقلت عبر الأجيال من عهد موسى عليه السلام حتى عهد يهودا هنَّاسي (١٣٢- ٢١٧م) الذي قام بتنسيقها وتسجيلها. والثاني: الغمارا: وهي تعليقات وشروح الحاخامات على المشنا، ومن العلماء من يطلق كلمة التلمود على الغمارا فقط، ولا يعرف من دون المشنا للمرة الأولى، وحوالي عام ٢٠٠م قام الحاخام يهودا هنَّاسي[٣] بجمع كثير من المشناوات في مجموعة واحدة متناسقة، وكثيرا ما أغفل اسم كاتبيها. وللتلمود نسختان: البابلي، والأورشليمي؛ وبينهما كثير من الاختلافات. والمشنا في كلا التلمودين واحدة والخلاف بينهما منحصر في نص الجمارا، ويعد التلمود البابلي هو الأكثر شيوعا بين اليهود، ويقدر حجمه بما يقارب ثلاثة

(١) الكفوي: الكليات، ٧٤٢/١.

(٢) انظر: قوجمان: قاموس عبري عربي، ص١٠١٤.

(٣) ويُعد يهودا هنَّاسي آخر التنائيم -رواة المشنا- وأول الأمورائيم -علماء الجمارا- انظر: متن التلمود، المشنا الأولى، ص١٩ من التمهيد، بقلم: د. مصطفى عبد المعبود.

أضعاف التلمود الأورشليمي، ويحتل التلمود المقام الثاني بعد العهد القديم عند عامة اليهود، ومنهم من يرفضه كالسامرة والصدوقيين والقرائين[١].

والتناخ: يقصد به: كل من: أسفار التوراة، وأسفار الأنبياء[٢]، وأسفار الحكمة أو الكتابات؛ وكلمة تناخ كلمة مكونة من الحرف الأول من كل من كلمة: (توراة – نفيئيم – ختوفيم) باللغة العبرية بمعنى: (التوراة – الأنبياء – الكتابات). وقد ترددت فرق اليهود في الإيمان ببعض أسفار التناخ أو (العهد القديم كما يسميه النصارى) أو ببعض أجزائها من عصر إلى آخر.

٤– **الكتب المقدسة المسيحية:** وهي: (العهد القديم، والعهد الجديد).

العهد القديم: لعل بولس الرسول[٣] هو أول من أطلق هذه التسمية على الأسفار المقدسة التي يسميها اليهود بالتناخ[٤]، وتابعه النصارى في ذلك الإطلاق ليشيروا بذلك إلى أن هناك عهدا آخر جديدا يتكون من الأسفار المسيحية المقدسة لديهم. وبالطبع يرفض اليهود هذه التسمية لأن موافقتهم تعني إيمانهم بعهد جديد جاء بعد عهدهم. وقد ترددت فرق النصارى في الإيمان ببعض أسفار العهد القديم وببعض أجزائها من عصر إلى آخر، وقد كان

---

(١) انظر: السابق، ص ص١٩: ٢٣ من التمهيد. وانظر: التلمود البابلي، ص ص٤: ١٤ من المقدمة، بقلم: نبيل فياض.

(٢) وتنقسم أسفار الأنبياء إلى ثلاث مجموعات: الأسفار التاريخية، وأسفار الأنبياء الكبار، وأسفار الأنبياء الصغار.

(٣) بولس الرسول: ويعرف أيضًا ببولس الطرسوسي أو القديس بولس (أحيانًا يُكتب اسمه بالعربية بحرف الصاد بولص)، هو أحد قادة الجيل المسيحي الأول، وينظر إليه على أنه أهم شخصية في تاريخ المسيحية بعد المسيح عليه السلام، وينسب إليه ١٤ سفرا من أسفار العهد الجديد الـــ ٢٧.

(٤) انظر: رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس ٣: ١٤.

اختيارنا للاسم النصراني لهذه الأسفار لاشتهارها به أكثر من اشتهار الاسم اليهودي[١].

والعهد الجديد: هو ما يؤمن به النصارى وحدهم؛ ويتكون من سبعة وعشرين سفرا، وهو عبارة عن: أربعة أناجيل (متى، مرقس، لوقا، يوحنا)، وسفر أعمال الرسل، ومجموعة رسائل بولس الرسول وعددها أربع عشرة رسالة، ومجموعة الرسائل الجامعة وعددها سبع رسائل، وأخيرا رؤيا يوحنا اللاهوتي.

٥- **الكتب المقدسة الإسلامية:** وهي: (القرآن، والسنة).

والقرآن لغة: مصدر، بمعنى القراءة، وفي اصطلاح علماء الإسلام: هو كلام الله المعجز، المنزل على رسوله ﷺ، المتعبد بتلاوته، المنقول إلينا بين دفتي المصحف تواترا من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس[٢].

والسنة في اللغة: الطريقة والسيرة، حسنة كانت أم سيئة[٣] والتعريف الإجرائي المختار لها في بحثنا هذا هو التعريف الاصطلاحي لها عند علماء أصول الفقه، وهو أنها: ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير[٤]، مما يصلح أن يكون دليلا لحكم شرعي.

سادسا: الدراسات السابقة:

تُعد هذه الدراسة – بحسب بحثي واستقصائي- الأولى في اللغة العربية بل والإنجليزية في موضوعها.

---

(١) وذلك لأن المسيحية ديانة دعوية بعكس اليهودية.

(٢) انظر: الشوكاني: إرشاد الفحول، ١/ ١١٩: ١٢٠. وانظر: حسب الله: أصول التشريع الإسلامي، ص١٧.

(٣) راجع: ابن منظور: السابق، مادة (سنن).

(٤) انظر: الشوكاني: السابق، ١/ ١٣١: ١٣٢.

سابعا: تقسيم الدراسة:

اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تأتي في مقدمة، ومدخل، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع، وفهرس للمحتويات.

أما المقدمة: فقد تحدثت فيها عن أهمية الدراسة.

وأما مدخل الدراسة: فبينت فيه حدود الدراسة، وأسئلتها، وأهدافها، ومنهجها، وضوابطها، ومصطلحاتها، والدراسات السابقة لها، وتقسيمها.

وأما المبحث الأول فقد عرضت فيه قراءتي للنصوص التلمودية المتعلقة بموضوع الدراسة.

وأما المبحث الثاني فقد عرضت فيه قراءتي لنصوص العهد القديم المتعلقة بموضوع الدراسة.

وأما المبحث الثالث فقد عرضت فيه قراءتي لنصوص العهد الجديد المتعلقة بموضوع الدراسة.

وأما المبحث الرابع فقد عرضت فيه قراءتي لنصوص القرآن والسنة المتعلقة بموضوع الدراسة.

وفي الخاتمة عرضت ملخصا للدراسة، ثم حللت نتائجها.

وفي نهاية الدراسة عرضت فهرسا للمصادر والمراجع ثم فهرسا للمحتويات.

أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت

وأن ينفعني بهذا العمل في آخرتي ودنياي، وينفع به.

المبحث الأول

التلمود والتعاطف مع صاحب الاعتقاد المخالف

يجعل التلمود من الرحمة للعالمين دون نظر إلى دينهم أساسا لحكم العالم؛ فيقول:[1]"بالرحمة يحكم العالم".

ويرى أن السلام لا يتحقق في العالم إلا بالتعاطف مع الأغيار بمساعدتهم ومعاونتهم والسؤال عنهم وتمني سلامتهم – والتمني فعل من أفعال القلب لا يدخله الرياء– فيقول: "يجوز أن يساعدوا الجوييم[2] ..... ويسألون عنهم من أجل السلام"[3]. ويقول:[4]"يُعان الجوييم...... ويتمنون سلامتهم لأجل السلام"..

وفي التلمود نصوص أخرى تتخذ موقفا مضادا للتعاطف مع الأغيار:

مثل قول التلمود: "قبل أعياد الجوييم بثلاثة أيام يحرم التعامل معهم، سواء لإعارتهم أشياء أم للاستعارة منهم، أو لإقراضهم أو الاقتراض منهم، أو لتسديد الدين لهم ، أو للتحصيل منهم[5]....يقول رابي إسماعيل... يحرم التعامل مع

(١) المشنا الرابعة، المبحث التاسع: آفوت أو الآباء، الفصل الثالث، الفقرة (س)، ص٢٨٣.

(٢) والجويم كلمة عبرية مفردها جوي גּוֹי أو غوي، وتعني في اللغة العبرية: غير اليهودي. انظر: قوجمان: السابق، ص ٩٧. أو "الأغيار" كما يسميهم اليهود أحيانا.

(٣) المشنا الثالثة، المبحث السادس: جطين أو وثائق الطلاق، الفصل الخامس، الفقرة (ط)، ص٢٤٦.

(٤) المشنا الأولى، المبحث الخامس: شفيعيت أو السنة السابعة، الفصل الرابع، الفقرة ج، ص ٢٠٨، والفصل الخامس، الفقرة (ط)، ص٢١٢.

(٥) يقول رابي يهودا: يحصل الدين منهم لأن ذلك يحزنهم. قالوا له: على الرغم من أن ذلك سيحزنهم الآن فإنه سيفرحهم بعد حين. انظر: المشنا الرابعة، المبحث الثامن، عفوداه زاراه أو العبادة الوثنية، الفصل الأول، الفقرة (أ)، ص٢٥٥.

الجوييم ثلاثة أيام قبل أعيادهم[١] وثلاثة أيام بعدها"[٢]. ومن ثمة تكون تهنئة غير اليهود بأعيادهم أيا كانت: دينية وغير دينية، محرمة.

ومثل قول التلمود: [٣]"يحرم بيع التمر الجيد ..... للجوييم.....وفي كل الأحوال لا يبيعون لهم البهيمة الكبيرة، أو العجول أو المُهُر".

وقول التلمود:[٤] "لا يجوز أن تولد الإسرائيلية الأجنبية؛ لأنها ستولد ابنا للأوثان، ولكن الأجنبية يجوز أن تولد الإسرائيلية. لا يجوز أن ترضع الإسرائيلية ابن الأجنبية، ولكن يجوز أن ترضع الأجنبية ابن الإسرائيلية بإذنها".

وفي مواطن الضعف يحرص اليهود على إخفاء هذه الشرائع فيحكي لنا التلمود أن "ثمة مين[٥] أرسل في عيده دينارا جديدا إلى ح. يهودا الثاني، وكان ريش لاكيش آنئذ في البيت الأخير، فاستشاره يهودا بشأن قبوله، فإذا قبله سيكون قد انتهك قانون التداخل، وإذا ما رفضه فسيسبب العداوة. قال ريش لاكيش: اقبله وارمه بحضور المعطي. أجاب ح. يهودا على هذا قائلا: سأسبب بذلك المزيد من العدائية. أجاب ريش لاكيش: أعني أنك سترميه بحيث يُعتقد أنك فعلت ذلك دون قصد"[٦].

---

(١) ويعتبر من الأعياد: "يوم حلق ذقن الجوي وخصلة شعره، ويوم رجوعه من البحر، واليوم الذي يخرج فيه من السجن، والجوي الذي يقيم وليمة زفاف لابنه، فإنه لا يحرم التعامل إلا في هذا اليوم، ومع الشخص ذاته فقط". السابق: نفس الموضع، الفقرة (ج).

(٢) السابق: نفس الموضع، الفقرتان(أ، ب)، ص٢٥٥.

(٣) السابق: نفس الموضع، الفقرتان (هـ، و)، ص٢٥٦.

(٤) السابق، الفصل الثاني، الفقرة (أ)، ص٢٥٨.

(٥) والمين: "كلمة عبرية أطلقها اليهود كتسمية بأسلوب مهين على كل من هو هرطوقي [من وجهة نظرهم] بما في ذلك المسيحيين والغنوصيين........[وسياق الكلام] يشير إلى أن المقصود بذلك هم المسيحيون". نبيل فياض: التلمود البابلي، رسالة عبدة الأوثان، الفصل الأول، غمارا المشنا الأولى، هامش ص٢٨.

(٦) السابق، ص٣٤.

المبحث الثاني

العهد القديم والتعاطف مع صاحب الاعتقاد المخالف

يتعاطف العهد القديم مع الغريب؛ فيعبر عن التأثر بما يصيبه من ظلـم؛ فيقول:[1]"شَعْبُ الأَرْضِ ..... ظَلَمُوا الْغَرِيبَ بِغَيْرِ الْحَقّ!". ويقول:[2]"فِي وَسْطِكِ عَامَلُوا الْغَرِيبَ بِالظُّلْمِ!". ويقول:[3]"يَقْتُلُونَ الأَرْمَلَةَ وَالْغَرِيبَ!". والمقصود بالغريب في العهد القديم عادة: كل من ليس من نسل إسرائيل يهوديا كان أو غير يهودي[4].

ويدعو العهد القديم إلى إدخال السعادة على قلب الغريب بكافة الطرق؛ فيقول سفر التثنية:[5]"وَتَفْرَحُ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكَ أَنْتَ .... وَالْغَرِيبُ". ويقول:[6]"وَتَفْرَحُ فِي عِيدِكَ أَنْتَ .... وَالْغَرِيبُ". ويقول:[7]"وَتَفْرَحُ بِجَمِيعِ الْخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ الرَّبُّ إِلهُكَ لَكَ وَلِبَيْتِكَ، أَنْتَ ... وَالْغَرِيبُ الَّذِي فِي وَسْطِكَ".

ويغري العهد القديم بالرأفة فيقول:[8]"طوبى للرجل الذي يتراءف". ويقول:[9]"سَعِيدٌ هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي يَتَرَأَّفُ".

---

(١) سفر حزقيال ٢٢: ٢٩.

(٢) السابق: ٢٢: ٧.

(٣) سفر المزامير ٩٤: ٦.

(٤) انظر: فكري: تفسير سفر العدد ١٥: ١٤- ١٥. فالدعوة إلى التعاطف مع الغريب تجمع الاثنين (اليهودي وغير اليهودي) بلا فرق. ويقابل مصطلح (الغريب) مصطلح (القريب)، والمقصود بالقريب في العهد القديم - في أغلب المواضع: "الإسرائيلي". انظر: اليسوعي وآخرون: معجم اللاهوت الكتابي، ص٦٢٤.

(٥) سفر التثنية ١٦: ١١.

(٦) السابق: ١٦: ١٤.

(٧) السابق: ٢٦: ١١.

(٨) المزمور ٢١:١١٢

(٩) السابق: ٥:١١٢.

ويرسم العهد القديم القدوة في التعاطف مع صاحب الاعتقاد المخالف:

مرة بإشعياء عليه السلام القائل:[1]"تَرِنُّ أَحْشَائِي كَعُودٍ مِنْ أَجْلِ مُوآبَ[2] وَبَطْنِي مِنْ أَجْلِ قِيرَ حَارِسَ"[3]. وقد كان المؤابيون[4] – بحسب الكتاب المقدس– أعداء لبني إسرائيل وقد أوقعوا بني إسرائيل في عبادة الأوثان[5] وغزوا أرضهم[6] وحاربوا الملك شاول[7] وداود عليه السلام[8].

ومرة بموسى عليه السلام الذي يزعم العهد القديم أنه وصل تعاطفه مع الكفار من قومه إلى درجة أنه فضل أن يهلك معهم إن لم يغفر الرب لهم، يقول العهد القديم:[9]"فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ، وَقَالَ: آه، قَدْ أَخْطَأَ هذَا الشَّعْبُ خَطِيَّةً عَظِيمَةً وَصَنَعُوا لأَنْفُسِهِمْ آلِهَةً مِنْ ذَهَبٍ* وَالآنَ إِنْ غَفَرْتَ خَطِيَّتَهُمْ، وَإِلاَّ فَامْحُنِي مِنْ كِتَابِكَ الَّذِي كَتَبْتَ".

ومرة بالرب تعالى؛ فيقول: [10]"وَأَنْتَ يَا إِلهَنَا ......مُدَبِّرُ الْجَمِيعِ بِالرَّحْمَةِ". ويعلل العهد القديم رحمة الله تعالى وشفقته بجميع البشر فيقول: [11]"وَبِمَا أَنَّكَ

---

(١) سفر إشعياء: ١٦: ١١.

(٢) عندما انهارت مؤاب أمام الأشوريين.

(٣) وقد كانت قير حارس مدينة حصينة في أرض مؤاب. انظر: بارتون وآخرون: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص ١٥٥٩.

(٤) وهم من نسل لوط عليه السلام بحسب الكتاب المقدس. انظر سفر التكوين ١٩: ٣٧.

(٥) انظر سفر العدد ٢٥: ١– ٣.

(٦) انظر سفر القضاة ٣: ١٢– ١٤.

(٧) سفر صموئيل الأول: ١٤: ٤٧.

(٨) سفر صموئيل الثاني: ٨: ٢، ١١، ١٢.

(٩) سفر الخروج ٣٢: ٣١– ٣٢.

(١٠) سفر الحكمة ١٥: ١.

(١١) السابق ١٢: ١٦.

رَبُّ الْجَمِيعِ؛ فَأَنْتَ تُشْفِقُ عَلَى الْجَمِيعِ". ويقول: (١)"أَيُّهَا السُّلْطَانُ الْقَدِيرُ، ..... تُدَبِّرُنَا بِإِشْفَاقٍ كَثِيرٍ، لأَنَّ فِي يَدِكَ أَنْ تَعْمَلَ بِقُدْرَةٍ مَتَى شِئْتَ". ويقول: (٢)"لكنَّكَ تَرْحَمُ الْجَمِيعَ، لأَنَّكَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، ......* إِنَّكَ تُشْفِقُ عَلَى جَمِيعِ الأَكْوَانِ، لأَنَّهَا لَكَ".

وهناك نصوص كثيرة على الضد من ذلك في العهد القديم:

كقوله: "مَتَى أَتَى بِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا، وَطَرَدَ شُعُوبًا كَثِيرَةً مِنْ أَمَامِكَ: .... لاَ تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْدًا، وَلاَ تُشْفِقْ عَلَيْهِمْ،"(٣).

وقوله: "وَيَدْفَعُ مُلُوكَهُمْ إِلَى يَدِكَ، فَتَمْحُو اسْمَهُمْ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ. لاَ يَقِفُ إِنْسَانٌ فِي وَجْهِكَ حَتَّى تُفْنِيَهُمْ"(٤).

وقوله: "وَأَمَّا مُدُنُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا فَلاَ تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَّا" (٥).

وفي العهد القديم نصوص تقبل التأويل لصالح أو ضد التعاطف مع صاحب الاعتقاد المخالف؛ مثل قوله: "إِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ خُبْزًا، وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ مَاءً* فَإِنَّكَ تَجْمَعُ جَمْرًا عَلَى رَأْسِهِ، وَالرَّبُّ يُجَازِيكَ"(٦). فيمكن أن يقال إن هناك تناقضًا بين الدعوة إلى التعاطف مع الأعداء بإطعامهم وسقيتهم، وبين

---

(١) السابق ١٢: ١٨.
(٢) السابق ١١: ٢٤- ٢٧.
(٣) سفر التثنية ٧: ١-٢.
(٤) سفر التثنية: ٧: ٢٤.
(٥) السابق ٢٠: ١٦.
(٦) سفر الأمثال ٢٥: ٢١- ٢٢.

الرغبة في أن تجمع جمرا على رؤوسهم؛ وكأن كاتب الفقرة الثانية ليس هو كاتب الفقرة الأولى. وقد اقتبس بولس هذا النص في رسالته لأهل رومية بزيادة تشفع لتفاسير متعايشة مع صاحب الاعتقاد المخالف، وقد اجتهد شراح العهد الجديد في التمسك بهذه الروح المتعايشة في تفاسيرهم لهذا النص، وسيأتي بيان ذلك عند حديثنا عن موقف العهد الجديد.

* *

المبحث الثالث

العهد الجديد والتعاطف مع صاحب الاعتقاد المخالف

يحث العهد الجديد على التعاطف مع الآخر فيقول:(١)"كُونُوا جَمِيعًا ...... مُشْفِقِينَ".

بل يحث العهد الجديد على التعاطف إلى درجة تقمص شعور المتعاطف معه فيقول:(٢)"اُذْكُرُوا الْمُقَيَّدِينَ كَأَنَّكُمْ مُقَيَّدُونَ مَعَهُمْ، وَالْمُذَلِّينَ كَأَنَّكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا فِي الْجَسَدِ". ويقول:(٣)"فَرَحًا مَعَ الْفَرِحِينَ وَبُكَاءً مَعَ الْبَاكِينَ".

ويغري بالتعاطف فيقول:(٤)"وَأَمَّا الْحِكْمَةُ الَّتِي مِنْ فَوْقُ فَهِيَ ......مَمْلُوَّةٌ رَحْمَةً وَأَثْمَارًا صَالِحَةً". ويقول:(٥)"طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ".

ويقدم العهد الجديد مفهوما جديدا على عصره للقريب الواجبة محبته والتعاطف معه، فيجعل العهد الجديد القريب هو كل من يتقرب إلينا بفعله بصرف النظر عن معتقده وعرقه...إلخ من وجوه الاختلاف(٦)؛ فيروي عن المسيح عليه السلام ردا على أحد علماء الشريعة اليهودية "قَامَ يُجَرِّبُهُ قَائِلاً: يَا مُعَلِّمُ، مَاذَا أَعْمَلُ لأَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ؟ فَقَالَ لَهُ: مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي النَّامُوسِ. كَيْفَ تَقْرَأُ؟ فَأَجَابَ وَقَالَ: تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَقَرِيبَكَ مِثْلَ نَفْسِكَ. فَقَالَ لَهُ: بِالصَّوَابِ أَجَبْتَ. افْعَلْ هذَا فَتَحْيَا. وَأَمَّا هُوَ فَإِذْ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّرَ نَفْسَهُ، قَالَ لِيَسُوعَ: وَمَنْ هُوَ قَرِيبِي؟ فَأَجَابَ

---

(١) رسالة بطرس الرسول الأولى ٣: ٨.

(٢) رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين ١٣: ٣.

(٣) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٢: ١٥.

(٤) رسالة يعقوب ٣: ١٧.

(٥) إنجيل متى ٥: ٧.

(٦) انظر: اليسوعي وآخرون: معجم اللاهوت الكتابي، ص٦٢٤.

يَسُوعُ وَقَالَ: إِنْسَانٌ كَانَ نَازِلاً مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَرِيحَا، فَوَقَعَ بَيْنَ لُصُوصٍ، فَعَرَّوْهُ وَجَرَّحُوهُ، وَمَضَوْا وَتَرَكُوهُ بَيْنَ حَيٍّ وَمَيْتٍ. فَعَرَضَ أَنَّ كَاهِنًا نَزَلَ فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ، فَرَآهُ وَجَازَ مُقَابِلَهُ. وَكَذلِكَ لاَوِيٌّ أَيْضًا، إِذْ صَارَ عِنْدَ الْمَكَانِ جَاءَ وَنَظَرَ وَجَازَ مُقَابِلَهُ. وَلكِنَّ سَامِرِيًّا مُسَافِرًا جَاءَ إِلَيْهِ، وَلَمَّا رَآهُ تَحَنَّنَ، فَتَقَدَّمَ وَضَمَدَ جِرَاحَاتِهِ، وَصَبَّ عَلَيْهَا زَيْتًا وَخَمْرًا، وَأَرْكَبَهُ عَلَى دَابَّتِهِ، وَأَتَى بِهِ إِلَى فُنْدُق وَاعْتَنَى بِهِ. وَفِي الْغَدِ لَمَّا مَضَى أَخْرَجَ دِينَارَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا لِصَاحِبِ الْفُنْدُقِ، وَقَالَ لَهُ: اعْتَنِ بِهِ، وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ أَكْثَرَ فَعِنْدَ رُجُوعِي أُوفِيكَ. فَأَيَّ هؤُلاَءِ الثَّلاَثَةِ تَرَى صَارَ قَرِيبًا لِلَّذِي وَقَعَ بَيْنَ اللُّصُوصِ؟ فَقَالَ: الَّذِي صَنَعَ مَعَهُ الرَّحْمَةَ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: اذْهَبْ أَنْتَ أَيْضًا وَاصْنَعْ هكَذَا"(١).

ويرسم العهد الجديد القدوة في التعاطف مع غير المؤمنين مرة ببولس الرسول الذي فضل الهلاك الأبدي في سبيل نجاة غير المؤمنين وذلك حين يقول(٢):"إِنَّ لِي حُزْنًا عَظِيمًا وَوَجَعًا فِي قَلْبِي لاَ يَنْقَطِعُ* فَإِنِّي كُنْتُ أَوَدُّ لَوْ أَكُونُ أَنَا نَفْسِي مَحْرُومًا مِنَ الْمَسِيحِ لأَجْلِ إِخْوَتِي أَنْسِبَائِي حَسَبَ الْجَسَدِ". ومرة بالرب تعالى فيقول: (٣)"كُونُوا رُحَمَاءَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ أَيْضًا رَحِيمٌ".

وفي العهد الجديد نصوص تثير شيئا من الجدل حول تعاطف العهد الجديد مع صاحب الاعتقاد المخالف:

مثل قوله:(٤) "إِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ. لأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هذَا تَجْمَعْ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ * لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ". فهناك تناقض بين الدعوة إلى التعاطف مع الأعداء بإطعامهم وسقيتهم، وبين الرغبة

---

(١) إنجيل لوقا ١٠: ٢٥- ٣٧.

(٢) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ٩: ٣.

(٣) إنجيل لوقا ٦: ٣٦.

(٤) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٢: ٢٠- ٢١.

في أن تجمع جمرا على رؤسهم؛ وكأن كاتب الفقرة الثانية ليس هو كاتب الفقرة الأولى.

إلا أن قوله: "لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ" يعطي وجاهة لـــبعض التفاسير المتعايشة مع صاحب الاعتقاد المخالف، كتفسير الأسقف مكاريوس بأن المقصود بوضع الجمر عليه هو العداوة لا العدو؛ يقول الأسقف مكاريوس: [١] "أنت تود أن تحرق العداوة التي فيه وليس هو". ويفصل القس أنطونيوس فكري شرح هذه العبارة بشكل متعايش فيقول: إن وضع النار على الرأس قد يقــصد به: نار الخجل والندم وتأنيب الضمير، وهو ما يؤدي إلى إشعال نار المحبة في قلبه نحوك. وقد تكون نار المصالحة، فمن العادات الرومانية[٢] لمن يريــد أن يحقن دماء الثأر أن يحمل على رأسه نارًا ويتقدم بها إلى غريمه. وكان الغريم يقبل النار ويضعها على رأسه علامة الصلح[٣].

**

(١) مكاريوس: المحبة المسيحية، ص ١٧.

(٢) ولا ننس أن هذا النص ورد في رسالة بولس إلى أهل رومية.

(٣) انظر: فكري: تفسير رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٢: ٢٠- ٢١.

المبحث الرابع
النصوص الإسلامية والتعاطف
مع صاحب الاعتقاد المخالف

تصف النصوص الإسلامية العلاقة بين المؤمنين وغيرهم بـ "الإخوة"، وهو وصف يستثير الشعور بالتعاطف معهم في كل المواقف التي تستدعي التعاطف؛ يقول تعالى:"كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ"(١). ويقول تعالى: "كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ"(٢). ويقول تعالى: "كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ"(٣). ويقول تعالى:"كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ"(٤). وهذا رسولنا ﷺ بعد فتح مكة؛ وأهلها يتوجّسون خيفة لما فعلوه به ﷺ وصحبه؛ يسألهم النبي ﷺ قائلا: "يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم؛ قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء"(٥). فنجده ﷺ هنا يقبل وصف الآخر - في المعتقد- له ﷺ بـ"الأخوة"، بل ويقيم ما يترتب على ذلك من حقوق الأخوة: من عفو ومسامحة. ومن ثمة نجد أن وصف العلاقة بين المؤمنين والكافرين بالأخوة من الأوصاف الشائعة على ألسنة العلماء؛ يقول الشنقيطي: إن "المسلمين قد تنفعهم عصبية إخوانهم الكافرين"(٦). ويستمر

---

(١) الشعراء ١٠٥: ١٠٦.

(٢) الشعراء ١٢٣: ١٢٤.

(٣) الشعراء ١٤١: ١٤٢.

(٤) الشعراء ١٦٠: ١٦١.

(٥) رواه ابن إسحاق في السيرة، وابن هشام: في السيرة النبوية ؛ وابن القيم: في زاد المعاد. والطبري في التاريخ، وابن كثير في "البداية والنهاية"، كل في قصة فتح مكة، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة.

(٦) انظر على سبيل المثال: الشنقيطي: أضواء البيان تفسير الآية ٩١ من سورة هود.

الشعور بالتعاطف الأخوي مع الكفار إلى يوم القيامة؛ فنجد النبي ﷺ يصف الكفار في ذلك اليوم بالإخوان ونجد المؤمنين يجادلون ربهم عنهم؛ يقول ﷺ:(١) "ما مجادلة أحدكم في الحق يكون له في الدنيا بأشد مجادلة من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أُدخلوا النار".

ومن ثمة يحث الإسلام المسلمين على إعطاء غير المسلمين حقوق الأخوة فيحث على رحمة الناس جميعهم بصرف النظر عن دينهم؛ يقول النبي ﷺ : (٢) "خاب عبد وخسر لم يجعل الله تعالى في قلبه رحمة للبشر". ويقول النبي ﷺ: (٣) " لن تؤمنوا حتى ترحموا، قالوا كلنا رحيم يا رسول الله، قال: إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة الناس رحمة العامة". ويقول النبي ﷺ: (٤) "من لا يَرحم لا يُرحم". ويقول النبي ﷺ :(٥) "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء". ومن هنا كان قول الإمام علي:(٦) "وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم...فإنهم صنفان: أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق".

---

(١) رواه النَّسائي في باب زيادة الإيمان من كتاب الإيمان، وابن ماجه في باب الإيمان من المقدمة، وأحمد في المسند، في مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الألباني في "السلسلة الصحيحة" ١ / ٧٤٠. والسيوطي في "الجامع"، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" عن عمرو بن حبيب.

(٣) أخرجه الطبراني ورجاله ثقات.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم. .

(٥) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين.

(٦) علي بن أبي طالب: نهج البلاغة، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل، شرح محمد عبده، ٥١٨/٤.

ويرسم الإسلام القدوة في التعاطف مع المخالف في المعتقد بنبينا ﷺ والذي قال الله تعالى فيه:(١)"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ":

فنجده ﷺ يعود مرضى أهل الكتاب؛ فعن أنس ﷺ قال:(٢)"كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده...". بل نجده ﷺ يعود مرضى المشركين فقد عاد النبي ﷺ عمه أبا طالب في مرض موته(٣).

و نجده ﷺ يقوم لجنائزهم إذا مرت به؛ فيروى عنه ﷺ أنه مرت به جنازة فقام، فقيل له إنها جنازة يهودي، فقال: "أليست نفسا!"(٤).

بل نجده ﷺ يوصى بأسرى أعدائه من الكفار المحاربين؛ فيقول ﷺ : "استوصوا بالأسارى خيرا"(٥) ولم يكن أسرى المسلمين في عهده ﷺ إلا من المخالفين في المعتقد.

ونجده ﷺ يأمر بدفن جثث قتلى أعدائه بعد كل معركة ولم يتركهم نهبا للسباع؛ "فعن أبي طلحة أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقذفوا في طوى من أطواء بدر"(٦).

ونجده ﷺ يحزن ويتحسر ويتأسف على من كفر من قومه حتى كادت نفسه أن تذهب من حسرته ويهلك من حزنه وأسفه، حتى قال الله تعالى

---

(١) الأنبياء:١٠٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز: باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه.

(٣) السابق: باب إذا قال المشرك عند الموت "لا إله إلا الله".

(٤) رواه البخاري ومسلم والنسائي كل في كتاب الجنائز.

(٥) رواه الطبراني في الكبير والصغير وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد.

(٦) رواه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل. وفي صحيح مسلم: "فجعلوا في بئر بعضهم على بعض". كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه.

له:[1]"وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ"، "فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ"[2]."فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا"[3]. "لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ"[4].

ويرسم لنا الإسلام القدوة في التعاطف مع صاحب الاعتقاد المخالف بالأنبياء عليهم السلام، حين خافوا وأشفقوا على أقوامهم من عذاب الله تعالى؛ يقول تعالى على لسان نوح عليه السلام لقومه:[5]"إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ". ويقول:[6]"إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ". ويقول تعالى على لسان شعيب عليه السلام لقومه:[7]"إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ". ويقول تعالى على لسان هود عليه السلام لقومه:[8]"إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ".

ويتجلى التعاطف مع صاحب الاعتقاد المخالف من الاهتمام بالوصاية به؛ حتى كان "مِنْ آخِرِ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ : "احْفَظُونِي فِي أَهْلِ ذِمَّتِي"[9]. وحتى كان عمر رضي الله عنه وهو على فراش الموت ينزف جرحه من ضربة أبي لؤلؤة المجوسي – الذمي– يوصي بهم. قائلا:[10] "أوصي الخليفة من بعدي...... بذمة

---

(١) النحل:١٢٧.

(٢) فاطر:٨.

(٣) الكهف:٦.

(٤) الشعراء: ٣.

(٥) الأعراف: ٥٩.

(٦) هود: ٢٦.

(٧) هود: ٨٤.

(٨) الشعراء:١٣٥، الأحقاف:٢١.

(٩) أخرجه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال، من ابتداء أساميهم زاي، من اسمه زبير، زبير بْن حبيب بْن ثابت بْن عبد اللَّه بْن الزبير.

(١٠) رواه البخاري في صحيحه في باب قصة البيعة من كتاب فضائل الصحابة.

الله، وذمة رسوله ﷺ، أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا إلا طاقتهم"[١].

ومن مظاهر التعاطف مع غير المسلمين تهنئتهم في جميع مسارِّهم وأعيادهم حتى الدينية، وهو ما لم تمانع منه نصوص الإسلام في رأيي: وذلك أن التهنئة ما لم تكن بألفاظ وفي أجواء تعبر عن الاعتقاد بدين المخالف وهو المحذور – فمآلها تمن ودعاء للمخالف بالخير المطلق، والشرع لا يمنع من تمني المسلم الخير المطلق للكافر المسالم؛ بل يدعو إلى ذلك، أما المعادي فيدعوا الشرع المسلم إلى أن يتمنى له من الخير ما لا يتقوى به على عداوة المسلمين، كالهداية إلى الحق[٢]، ومن هنا فعبارة (كل عام وأنتم بخير وأمثالها) تتضمن دعاء للمخالف بالهداية إلى الحق؛ فكيف يكون ذلك مخالفا للشرع!. **صحيح أنه لم يرد عن النبي ﷺ أنه هنأهم؛ لكنه لم يرد عنه أنه لم يفعل، وعدم الورود لا يعنى عدم الفعل، وعدم الفعل لا يعني التحريم ما لم يدل على ذلك دليل، ومن ثمة يبقى الأمر على الإباحة. على أن تهنئة غير المسلمين بأعيادهم الدينية لا تعني حتما مشاركتهم في إيمانهم، أو موافقتهم على عقائدهم؛** ولو كانت التهنئة تعني حتما الموافقة لما هنأ المهنئون زوجين بزواجهما إلا بعد موافقة منهم على زواجهما، والمعقول والمشاهد غير ذلك، فكثيرا ما يهنئ الرافضون العروسين رغم عدم موافقتهم؛ وفي أغلب الأحوال يكون المهنئون على الحياد لا يوافقون ولا يرفضون. ولو كانت التهنئة تعني المشاركة لأدى ذلك إلى جهالات كثيرة، منها: أن تعتبر تهنئة الرجل على زواجه مشاركة من مهنئه في

---

(١) ومن وصايا الرسول ﷺ بأهل الذمة قوله: "إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا فإن لهم ذمة ورحما". رواه مسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر. والنصوص في ذلك وفيرة، والمقام لا يتسع إلا للتمثيل.

(٢) راجع مبحث "الدعاء لمخالف الإيمان" من بحثنا "الإحسان إلى مخالف الإيمان".

امرأته، وهلم جرا!. على أن انتشار فتاوى تحريم تهنئة غير المسلمين بأعيادهم الدينية لا شك سيسهم في ترسيخ أعراف جديدة تؤسس لوعي ثقافي مختلف يرى في تهنئة مخالف المعتقد في عيده الديني مشاركة له في معتقده، وموافقة عليه، وبناء عليه ستختلف الفتوى الشرعية فـ "العادة شريعة محكّمة" و"الثابت بالعرف كالثابت بالنص" كما يقول الأصوليون؛ ومن ثمة سينتقل حكم هذه التهنئة في ضوء ذلك من الحل إلى الحرمة؛ ولا إشكال في ذلك فلكل أصحاب مذهب أو دين الحق في رفض بعض أنواع التعامل مع الآخر، وهو أمر ينبغي تفهمه والقبول به؛ لكن الإقلال وليس الإكثار من ذلك هو ما يسهم في ازدهار التعايش المثمر بين أصحاب العقائد المختلفة. ومسألة أن تهنئة مخالف المعتقد في عيده الديني تعد مشاركة له في معتقده، وموافقة عليه لم يذهب إليها أحد من أهل الأديان – في حدود بحثي وقراءتي– غير بعض علماء المسلمين، ومعنى ذلك أن هذا الربط بين التهنئة من جهة والمشاركة والموافقة من جهة أخرى ليس أمرا إنسانيا فطريا طبعيا، فإذا أضفنا إلى ذلك أنه لم يرد به نص إسلامي، علمنا أن المشكلة تكمن عند هؤلاء النفر– وإن كثر عددهم– ولا تتعداهم؛ وأن المسألة لها بواعث تاريخية واجتماعية ونفسية. أما القول بأن العهد العمري مع نصارى الشام يمنع النصارى من إظهار احتفالاتهم الدينية[(١)] وهو ما يشير إلى المنع من تهنئتهم، فهو رأي يحتاج إلى إعادة نظر؛ وذلك أن الشروط العمرية، وضعها النصارى ولم يضعها عمر، ولا نص فيها عن الله ورسوله ﷺ، وإن صحت موافقة عمر عليها فهو مجتهد في ضوء ظروف عصره، واجتهاده ﵁ ليس شرعا ملزما إلى قيام الساعة، ولم تحظ هذه النصوص التاريخية بالتوثيق الذي حظيت به نصوص القرآن والسنة مما يضع علامات استفهام وتعجب

(١) انظر: ابن القيم: أحكام أهل الذمة، ذكر الشروط العمرية وأحكامها وموجباتها، ص ص ٤١٥: ٤١٧.

حول قبول عامة الفقهاء لها[١]؛ يقول ابن القيم معترفا بعدم صحة سندها مع قبوله لها:[٢]"وشهرة هذه الشروط تغني عن إسنادها: فإن الأئمة تلقوها بالقبول، وذكروها في كتبهم، واحتجوا بها، ولم يزل ذكر الشروط العمرية على ألسنتهم، وفي كتبهم، وقد أنفذها بعده الخلفاء وعملوا بموجبها". وقول ابن القيم بأن "شهرة هذه الشروط تغني عن إسنادها" لا أظنه هو نفسه قد اتبعه في غير كتابنا هذا؟!. فكم من نصوص موضوعة مشهورة على ألسنة غير المعصومين؟! وقد تصدى علماء الحديث لذلك بما هو لائق. وأما قول ابن القيم: "وقد أنفذها بعده الخلفاء وعملوا بموجبها" فلا يشفع التاريخ لذلك بل يعارضه، والمقام لا يتسع لبيان ذلك.

ويتجلى تعاطف نصوص الإسلام مع صاحب الاعتقاد المخالف من أمر القرآن الكريم بالغلظة مع الكافرين المعادين وذلك أن إظهار الغلظة في مواقف رد الاعتداء يُعد أمرا طبعيا لا يحتاج إلى الأمر به، إلا أن النصوص الإسلامية أمرت به؛ لأنه يُعد مخالفا للتوجه العام للنصوص الإسلامية التي تؤكد التعاطف واللين....إلخ. فقال تعالى:[٣]"يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ".

ولما كانت غلظة المؤمنين مع الكافرين المعادين مصطنعة لمصلحة كان الأمر بها بالكيف والقدر الذي يحقق المصلحة دون إفراط أو تفريط، فجاءت

(١) يقول محمد الغزالي: "وقد بحثنا عن أصل لهذه الشروط في مصادر الفقه الإسلامي وكتب الشريعة والسير والتاريخ فلم نجد لها أثرا ألبتة، بل ما وجدناه في كتاب الله وفي سنة رسوله وفي معاهدات عمر نفسه يناقض هذا العهد المكذوب". الغزالي: التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، ص٦٣.

(٢) ابن القيم: السابق، ص ٤١٧..

(٣) التحريم: ٩.

كلمة غلظة منكرة في قوله تعالى:(١)"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ". لتدل على أن لأولي الأمر أن يحددوها في كل زمان ومكان بما يتفق مع المصلحة.

**

(١) التوبة: ١٣٣.

الخاتمة

خلاصة واستخلاص

الخلاصة:

بعد هذه القراءة في الكتب المقدسة لدى أصحابها: اليهودية والمسيحية والإسلامية، نخلص بالآتي:

التلمود:

- يجعل التلمود من التعاطف مع العالمين دون نظر إلى دينهم أساسا لحكم العالم.
- يرى التلمود أن السلام لا يتحقق في العالم إلا بالتعاطف مع الأغيار بمساعدتهم ومعاونتهم والسؤال عنهم وتمني سلامتهم.
- في التلمود نصوص تتخذ موقفا مضادا للتعاطف مع الأغيار، ويحرص اليهود على إخفائها في مواطن ضعفهم.

العهد القديم:

- يتعاطف العهد القديم مع الغريب، والذي يعني عادة: كل من ليس إسرائيليا يهوديا كان أو غير يهودي.
- يدعو العهد القديم إلى إدخال السعادة على قلب الغريب بكافة الطرق.
- يغري العهد القديم بالتعاطف.
- يرسم العهد القديم القدوة في التعاطف مع صاحب الاعتقاد المخالف.
- في العهد القديم نصوص كثيرة تتخذ موقفا مضادا للتعاطف مع صاحب الاعتقاد.

العهد الجديد:

- يحث العهد الجديد على التعاطف إلى درجة تقمص شعور المتعاطف معه.
- ويغري بالتعاطف.

- ويقدم العهد الجديد مفهوما جديدا على عصره للقريب الواجب التعاطف معه؛ فيجعل القريب هو كل إنسان يتقرب إلينا بفعله بصرف النظر عن معتقده وعرقه...إلخ.
- يرسم العهد الجديد القدوة في التعاطف مع غير المؤمنين.

النصوص الإسلامية:

- تصف النصوص الإسلامية العلاقة بين المؤمنين وغيرهم بـ "الإخوة"، وهو وصف يستثير الشعور بالتعاطف معهم في كل المواقف التي تستدعي التعاطف، ويستمر الشعور بالتعاطف الأخوي مع الكفار في نصوص الإسلام إلى يوم القيامة.
- يحث الإسلام المسلمين على التعاطف مع غيرهم بإعطائهم حقوق الإخوة بصرف النظر عن دينهم.
- يرسم الإسلام القدوة في التعاطف مع المخالف في المعتقد بنبينا ﷺ وبالأنبياء عليهم السلام.
- أمرت النصوص الإسلامية بإظهار الغلظة في مواقف رد الاعتداء – رُغم كون ذلك يُعد أمرا طبعيا لا يحتاج إلى الأمر به – لأنه يُعد مخالفا للتوجه العام للنصوص الإسلامية التي تؤكد التعاطف واللين....إلخ.
- دعت النصوص الإسلامية إلى إظهار الغلظة في مواقف رد الاعتداء بالكيف والقدر الذي يحقق المصلحة دون إفراط أو تفريط.

الاستخلاص:

من كل ما سبق يمكننا استخلاص ما يلي:

- إن الولاء للأخوة الإنسانية وما ينشأ عنه من أخلاق إنسانية رفيعة أمر ظاهر ومؤكَّد في الكتب المقدسة محل هذه الدراسة.

- عندما حث العهد القديم على التعاطف مع صاحب الاعتقاد المخالف كثيرا ما وصفه بـ "الغريب". وعندما حث العهد الجديد على التعاطف مع صاحب الاعتقاد المخالف كثيرا ما وصفه بـ "القريب". وعندما حثت النصوص الإسلامية على التعاطف مع صاحب الاعتقاد المخالف كثيرا ما وصفته بـ "الأخ". وجعلت هذا الوصف ممتدا إلى يوم القيامة لا يسقط بفقدان الأمل في إيمان الكافر، وهو ما يشير إلى وجود تطور إيجابي في وصف العلاقة مع صاحب الاعتقاد المخالف.

- إن التوقف أمام تلك النصوص التي نجدها أحيانا تغري بالإساءة إلى الآخر في المعتقد محله دراسة عن العدل لا التعاطف؛ ويقع على عاتق المتشبثين بهذه النصوص عبء توجيه ما أوردناه من نصوص تحض على التعاطف مع صاحب الاعتقاد المخالف.

- إن المواقف الداعية لعدم التعاطف مع صاحب الاعتقاد المخالف لا تنطلق من عامة النصوص المقدسة في أي من الديانات الثلاث موضع الدراسة؛ وإنما تنطلق من نظرة انتقائية للنصوص وتفسيراتها.

ولقد ساهمت طبيعة النص اليهودي والمسيحي المقدس في إزكاء هذه النظرة وما تولد عنها من ازدواجية أخلاقية؛ فالنصوص المقدسة اليهودية والمسيحية ما هي إلا كتابات من وجهة نظر: حكماء وبسطاء، علماء وجهال، أمميين ويهود، وُدَعاء وعنف، صابرين ومتمردين، أغنياء وفقراء، فساق وأتقياء....إلخ، فالكتاب المقدس لم يتكلم إلا على لسان هؤلاء[1]؛ ومن ثمة كانت

(١) انظر: المزمور ٥٦: ٤– ٥. سفر إرمياء ٢٣: ٣٦. رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ٧: ١٢ ،٤٠. رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٥: ٢٠. سبينوزا: رسالة فى اللاهوت والسياسة ص٣٣٤. وانظر: مدخل العهد الجديد، طبعة دار المشرق، ص ص٢٥: ٢٦. وانظر: الفاتيكان: البند ١٢من الفصل الثالث من دستور المجمع المسكونى للفاتيكان الثانى: "الوحى الإلهى"، ص١٣٠. وانظر: بايه: أخلاق الإنجيل، ص ١٨٩.

ازدواجية الأخلاق الكتابية، ومن ثمة بدا الأمر في كثير من الأحيان وكأننا أمام وحيين يهوديين متقابلين، ووحيين مسيحيين متقابلين لإلهين مختلفين، أحدهما إله للمثالية الأخلاقية والآخر للعدوانية!:

فالتلمود الذي يرى أنه بالرحمة يحكم العالم ويدعو صراحة إلى معاونة غير اليهود والسؤال عنهم وتمني سلامتهم؛ **هو التلمود الذي** يحرم تعامل اليهود مع غيرهم في كل أيام سرورهم وفي كل ما يسرهم.

والعهد القديم الذي يتعاطف مع غير اليهود ويحث على التعاطف معهم إلى حد الزعم بأن موسى عليه السلام دعا ربه أن يهلكه مع الكافرين إن لم يغفر الرب لهم؛ هو العهد القديم الذي يدعو بالهلاك على غير المؤمنين، ويحث على قتلهم أجمعين. والعهد القديم الذي يدعو إلى التعاطف مع الأعداء بإطعامهم وسقيتهم، هو العهد القديم الذي يعود فيعلل ذلك التعاطف بالرغبة في جمع جمر على رؤس الأعداء؛ وكأن كاتب الفقرة الثانية ليس هو كاتب الفقرة الأولى.

والعهد الجديد الذي يتعاطف مع صاحب الاعتقاد المخالف ويحث على التعاطف معهم إلى حد الزعم بأن بولس الرسول فضل الهلاك الأبدي في سبيل نجاة غير المؤمنين **هو العهد الجديد الذي** يقدس العهد القديم بكل ما فيه ويجعل من نفسه تتمة له(١).

ورغم أنه لا يوجد **نص إسلامي** عن الله تعالى أو عن رسوله ﷺ صحيح صريح يضاد التعاطف مع صاحب الاعتقاد المخالف، بل العكس هو الصحيح؛ فالنصوص الإسلامية تلح على هذا التعاطف كما تبين لنا في دراستنا هذه؛ فإن هناك تيارات ليست بالضعيفة في الفكر الإسلامي ترفض هذا التعاطف بدرجة أو بأخرى.

---

(١) انظر: متى ٥: ١٧.

ولعله من أهم الأخطاء العلمية التي وقع فيها أصحاب هذه التيارات ما يلي:

- الخلط بين عدم ثبوت فعل ﷺ الرسول وعدم فعل الرسول ﷺ.
- الخلط بين عدم فعل الرسول ﷺ والتحريم.
- الخلط بين ما يدل عليه الفعل من دلالات.
- الأخذ بظاهر النصوص، وإغفال القواعد الأصولية في الفهم.
- الانطلاق من مسلمات غير مسلم بها عند غيرهم من العلماء.
- التمسك بخيارات لغوية دون شفيع، وفي اللغة متسع لغيرها.
- الفهم المتعارض مع سياق النص.
- الخلط بين المطلق والمقيد.
- النظرة غير الشاملة للنصوص.
- الخلط بين فضائل الأعمال والمعاملات: فالأولى يؤخذ فيها بالدليل الضعيف، والثانية لا يقبل فيها إلا الصحيح - إلا إن كان الضعيف غير معارض بنص صحيح صريح، وكان الموضع موضع احتياط، وكان الضعيف مندرجا تحت أصل معمول به في الشريعة- ولا شك أن الحث على التعاطف مع صاحب الاعتقاد المخالف هو من فضائل الأعمال؛ أما النهي عن التعاطف مع صاحب الاعتقاد المخالف فليس من فضائل الأعمال؛ وإنما هو من أحكام المعاملات. ولم يرد في نصوص الإسلام دليل تنطبق عليه الشرائط سابقة الذكر يمنع من التعاطف مع صاحب الاعتقاد المخالف.
- التخير من مواقف السلف وأقوالهم ما يشفع لآرائهم والسكوت عما لا يشفع؛ ثم زعم المتابعة لفهم السلف، والاحتجاج لتقليدهم بأن القدماء أقدر على فهم مراد الله ومراد رسوله ﷺ حتى في مثل هذه الأمور المتعلقة بالمعاملات!!! ونسوا أو تناسوا الإطار السياسي والاجتماعي الذي صدرت فيه فتاوى القدماء، وبفرض تشابه الظروف، بل وتماثل الأحوال، فلا تلازم بين الفضل وعظم

الشأن وبين جعل الواحد من السلف الكرام مشرِّعا كالرسول ﷺ وقد ختمت النبوة، وختمت العصمة؛ وما ورد من نصوص تأمر بالاقتداء ببعض الصحابة فتحمل على الاقتداء بهم في الفضل وفي اتباع الدليل، لا الفهم؛ يقول تعالى في ذلك:(١)"أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ". فقال بهداهم ولم يقل بهم؛ فالعبرة ليست بالأشخاص؛ وذلك أن الفهم غير المعصوم لا يمكن أن يكون ممثلا للنص المعصوم(٢). وهو ما يؤكده النبي ﷺ في وصاياه لقادة السرايا الحربية بقوله: "إن حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله؛ فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك(٣)؛ فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم

(١) الأنعام: ٩٠.

(٢) وأمام هذه الحقيقة: حصر بعض العلماء حجية قول الصحابي فيما اشتهر ولم يُعلم له مخالف (وهو ما اصطلحوا على تسميته بالإجماع السكوتي)، وهذا غير مُسلَّم به أيضا فعدم العلم بوجود المخالف ليس علما بعدم وجوده.

وأمام هذه الحقيقة حصر بعض آخر من العلماء حجية قول الصحابي فيما لا يدرك بالرأي – كالغيبيات– ظنا منهم أن الصحابي في هذه الحالة لابد وأن يكون آخذا عن النبي ﷺ وحتى هذا غير مُسلَّم به لجواز كون الصحابي حاكيا عما شاع في عصره، أو عما سمعه ممن لا نثق به، ورواية بعض الصحابة للإسرائيليات خير دليل على ذلك.

ونتفق مع من ذهب إلى حجية قول الصحابة إذا اشتهر الرأي ولم نعلم له مخالفا إذا كانت المسألة مما لا يمكن الاجتهاد فيه على وجهه إلا لهم، وهو ما احتاج في فهمه إلى قرائن لم يشاهدها إلا هم، وكذا ما احتاج إلى قوة في معرفة لغة العرب.

انظر في حجية قول الصحابي: الشاطبي: الموافقات ٣٠٢/٣، حسب الله: السابق، ص ص٧٥: ٧٨.

وعلى كل حال، لم يحدث إجماع سكوتي على رفض التعاطف مع صاحب الاعتقاد المخالف عند السلف، ولا علاقة لدراستنا بالغيبيات فموضوعنا في المعاملات.

(٣) أي: أنزلهم على فهمك لحكم الله ورسوله الذي لا يحجر على غيره من الفهوم المقبولة لغة وشرعا، وليس المقصود حكمك الذي لا يتقيد بالنص إن وجد نص.

أم لا"[1]. بل إن السلف قد نهوا عن التسليم لفهمهم واعتبار اجتهادهم دينا ملزما؛ فعن ابن عباسﷺ قال:[2]"خذوا الحكمة ممن سمعتموها؛ فإنه قد يقول الحكم غير الحكيم، وتكون الرمية من غير رام". وعن مُعَاذ بن جبل ﷺ:[3]"أُحَذِّرُكُمْ زَيْغَةَ الحكيم فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم؛ وقد يقول المنافق كلمة الحق". وعن علي ﷺ:[4] "إن الحق لا يعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله". وعن ابن عمر رضي الله عنهما رفعه: "خذ الحكمة ولا يضرك من أي وعاء خرجت"[5].

- تتميز النصوص الإسلامية في موضوعنا هذا بوفرة غير معهودة في الكتب المقدسة الأخرى موضع الدراسة، كما امتازت بجهد فقهي غير مسبوق في تاريخ الأديان الأخرى[6]؛ فطول وقوفنا أمامها مقارنة بوقوفنا أمام نصوص الأديان الأخرى ليس تقصيرا في حق الثانية، وإنما اقتضت طبيعة الأمر ذلك.

- إنه لمن الصعوبة بمكان الحديث عن ترتيب للأديان في درجات التعاطف مع صاحب الاعتقاد المخالف، وذلك لأن هذا الحديث يتطلب أمورا عديدة لا يمكن اعتبارها مجتمعة في المقارنة مثل:

---

(١) رواه مسلم برقم ٢ من كتاب الجهاد، وأبو داود في الباب ٨٢ من كتاب الجهاد، وغيرهما. وجدير بالتنويه هنا أن المسلم لا يطبق النصوص القرآنية والنبوية وإنما يطبق فهمها غير المعصوم الذي فهمه العلماء الثقات.

(٢) انظر: السخاوي: المقاصد الحسنة،١ /٣١٠.

(٣) رواه أبو داود في الباب ٥ من كتاب السنة.

(٤) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تفسير الآية ٤٢ من سورة البقرة.

(٥) ونحو هذا يروى من قول علي. انظر: السخاوي: السابق،١ /٣١١.

(٦) فالنص اليهودي والمسيحي المقدس المعاصر هو في حقيقته تفسير لنص مقدس مفقود، ومن ثمة لا تضيف تفسيرات هذه التفسيرات (شروح هذه النصوص المقدسة) في الغالب جديدا ذا بال، وكثيرا ما كانت متصنعة متكلفة، ومن ثم كانت استفادتنا منها – رغم حرصنا– ضئيلة.

- عدد النصوص المعارضة لهذا التعطف.
- درجة صحة النصوص المعارضة.
- مدى وجاهة توجيه النصوص المعارضة.
- عدد النصوص المؤيدة للتعاطف مع صاحب الاعتقاد المخالف(١).
- درجة صحة النصوص المؤيدة.
- درجة التأكيد في كل نص على التعاطف مع صاحب الاعتقاد المخالف.
- درجة التأكيد في كل نص على أنه يشمل غير المؤمنين، فكثيرا ما يتم التأكيد على التعاطف دون تأكيد على شمولية ذلك لصاحب الاعتقاد المخالف.
- نوع التأكيد، هل هو تأكيد نابع من الاهتمام بهذا الوجه، أم تأكيد نابع من إنكار المدعويين له، بمعنى أن بعض الأديان قد يؤكد على التعاطف مع صاحب الاعتقاد المخالف بسبب معارضة المدعويين، لا بسبب العناية بهذا التعاطف لأهمية خاصة يراها له، وقد لا تؤكد بعض الأديان على هذا التعاطف لتحلي المدعويين به أو لأنهم لا يعارضونه، ومن هنا لا يمكن اعتبار التأكيد أو عدمه ميزة لدين على دين.

التوصيات :

- لقد تطورت مواضيع الفلسفة خلال فترات تاريخية متعاقبة تلبية لحاجات المجتمعات المختلفة، **ولعله قد آن الأوان** ليحتل موضوع "التعايش مع الآخر" مكانته اللائقة به بين الموضوعات الفلسفية.

---

(١) وما يتعلق بالعدد والتعداد فمعرفته يسيرة ولو اقتصر الأمر عليه لكان ترتيب الأديان في التعاطف مع صاحب الاعتقاد المخالف سهلا ؛ يقول ابن تيمية: "إن ذكر العدل في التوراة أكثر، وذكر الفضل في الإنجيل أكثر، والقرآن جمع بينهما على غاية الكمال". ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، فصل "من أدلة عموم رسالة النبي ﷺ" فصل "نقض دعواهم الاستغناء باليهودية والنصرانية"، ٥/ ٥٩.

- **علينا جميعا – كل بحسب موقعه–** إعادة النظر في أقوالنا وأفعالنا وقوانينا وتراثنا والكف عن دينة الأهواء والبدع.
- **على كل منا:** عدم التذرع بالنصوص الباطلة، والفهوم الفاسدة والآراء المرجوحة للكف عن مد يدنا للآخر من أجل تعايش حقيقي معه. ومن لم يستطع أن يقدم مساهمة فكرية فلتكن مساهمته سلوكية، ومن لم يستطع المبادرة فليتقبل مبادرة الآخرين نحوه. إن مساهماتنا الصغيرة الدائمة هي مثل قطرات المطر إذا انضمت إلى قطرات الآخرين ألفت نهرا.

أسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ،،

أهم المصادر والمراجع[1]

➢ **القرآن الكريم وكتب التفاسير:**

• **الشنقيطي (محمد الأمين بن محمد المختار):**

- أضواء البيان في إيـضاح القـرآن بـالقرآن، د.ط، بيـروت: دار الفكـر، ١٤١٥هـ.

• **القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري):**

- الجامع لأحكام القرآن، د.ط، القاهرة: دار الشعب، د.ت.

• **ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي):**

- تفسير القرآن العظيم، د.ط، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، د.ت.

➢ **كتب السنة النبوية وشروحها:**

• **أحمد بن حنبل:**

- مسند أحمد بن حنبل، د.ط، بيروت: دار صادر، د.ت.

• **الألباني (محمد ناصر الدين):**

- سلسلة الأحاديث الصحيحة، د.ط، بيروت: المكتب الإسلامى، د.ت.

• **البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن بزدزبة):**

- صحيح الأدب المفرد، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، ط٤، القاهرة: دار الصديق، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

- صحيح البخاري، د.ط، القاهرة: مطابع الشعب، د.ت.

---

(١) نظمت المصادر والمراجع فيما يلي حسب الترتيب الألفبائي للاسم الذي اشتهر به المؤلف مع صرف النظر عن (ابن، أبو، ال).

• **البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين):**

- السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠ هـ.

• **الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة):**

- سنن الترمذي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، ط٢، القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٩٧٨م.

• **الحاكم النيسابوري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله):**

- المستدرك على الصحيحين، د.ط، بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٨م.

• **أبو داود (سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني):**

- سنن أبي داود، تعليق أحمد سعد علي، ط١، القاهرة: ط مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٢م.

• **السيوطي (الحافظ جلال الدين):**

- جامع الأحاديث (الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير) جمع وترتيب: عباس أحمد صقر، أحمد عبد الجواد، د.ط، القاهرة: طبع على نفقة السيد حسن عباس زكي، غير مخصص للبيع، د.ت.

• **الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي):**

- المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن إبراهيم الحسيني، د.ط، القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥هـ.
- المعجم الصغير، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٧م.
- المعجم الكبير، تحقيق: حمد عبد المجيد السلفي، د.ط، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤١٥هـ.

- **ابن عدي (أبو أحمد الجرجاني):**

- الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق :عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، ط١، بيروت: الكتب العلمية ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

- **ابن ماجه (أبو عبد الله بن يزيد القزويني):**

- سنن ابن ماجه، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، القاهرة: ط عيسى البابي الحلبي، د.ت.

- **مالك بن أنس:**

- الموطأ، تحقيق: محمد علوي المالكي، ط١، جدة: دار الشروق، ١٩٨٥م.

- **مسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري):**

- صحيح مسلم بشرح النووي، د.ط، القاهرة: ط مصطفى البابي الحلبي، د.ت.

- **النسائي (أبو عبد الرحمن بن شعيب بن علي):**

- سنن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غده، ط٢، بيروت، ١٩٨٦م.

- **الهيثمي (الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر):**

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، د.ط، القاهرة: مكتبة القدسي، د.ت.

➢ **الكتابات المقدسة في اليهودية والمسيحية:**

- **التلمود:**

- التلمود البابلي، رسالة عبدة الأوثان، من سلسلة رسائل تلمودية (أ) ترجمة وتقديم نبيل فياض، ط١، دمشق: دار الغدير،١٩٩١م.
- متن التلمود، المشنا، ترجمة د. مصطفى عبد المعبود سيد منصور، ط١، القاهرة، مركز جامعة القاهرة للغات والترجمة، ٢٠١٣م.

- **الكتاب المقدس:**

- الكتاب المقدس، ط٣، بيروت: دار المشرق، ١٩٩٤ (طبعة معتمدة من بولس باسيم، النائب الرسولي للاتين).

▪ الكتاب المقدس على الموقع اللاإلكتروني التالي:
http://st-takla.org/Bibles/BibleSearch/search.php

➢ **شروح الكتابات المقدسة في اليهودية والمسيحية:**

• **بارتون (الدكتور بروس) وآخرون:**

- التفسير التطبيقى للكتاب المقدس، ط٣، تعريب شركة ماستر ميديا، القاهرة ١٩٩٧م.

• **فكري (القس أنطونيوس):**

- شرح الكتاب المقدس، على الموقع الإلكتروني التالي:
http://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-٠٢-New-Testament/Father-Antonious-Fekry

➢ **مراجع متنوعة:**

• **ابن إسحاق (محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي):**

- السيرة النبوية، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ.

• **بايه (ألبير):**

- أخلاق الإنجيل، دراسة سوسيولوجية، ترجمة: د. عادل العوا، ط١ دمشق: دار الحصاد، دار كنعان، ١٩٩٧م.

• **ابن تيمية (أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم):**

- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق وتعليق: د. ناصر ابن عبد الكريم العقل، ط٥، الرياض: مكتبة الرشد،١٩٩٦م.

- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر وآخرون، القاهرة، الرياض: دار العاصمة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

• **حسب الله (على):**

- أصول التشريع الإسلامي، د.ط، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

• **الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله بن مدحج) :**

- تاج العروس، د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

• **زكي إبراهيم (محمد):**

- وظيفة الحديث الضعيف في الإسلام وأقوال كبار أئمة السلف والخلف فيه، ط٤، القاهرة: مطبوعات العشيرة المحمدية، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

• **سبينوزا:**

- رسالة فى اللاهوت والسياسة، ترجمة وتقديم د. حسن حنفى، مراجعة د. فؤاد زكريا، ط٣، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩١م.

• **السَّخاوي، (عبد الرحمن):**

- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، د.ط، دار الكتاب العربي، د.ت.

• **الشاطبي (أبو إسحق إبراهيم بن موسى اللخمي):**

- الموافقات في أصول الشريعة، عناية الشيخ إبراهيم رمضان، شرح الشيخ عبد الله دراز، ط٦، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م

• **الشوكاني (محمد على بن محمد):**

- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق وتعليق: د. شعبان محمد إسماعيل، ط١، القاهرة: دار السلام، ١٩٩٨م.

• **ابن الصلاح (أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري):**

- علوم الحديث، تحقيق: د. نور الدين عتر، د.ط، دمشق: دار الفكر، بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م

• **الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير):**

- تاريخ الأمم والملوك، د.ط، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، د.ت.

• **العزامي (د. خليل بن إبراهيم ملا خاطر):**

- خطورة مساواة الحديث الصحيح بالموضوع، ط١، جدة: دار القبلة، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

• **ابن عساكر (الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي):**

- تاريخ دمشق، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ.

• **على حسب الله.**

- أصول التشريع الإسلامي، د.ط، القاهرة: دار المعارف، د.ت.

• **علي بن أبي طالب.**

- نهج البلاغة، شرح: محمد عبده؛ أشرف على طبعه و زاد في شرحه: عبد العزيز سيد الأهل، د.ط، بيروت: مكتبة الأندلس، ٣٧٤هـ، ١٩٥٤م.

• **الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد):**

- إحياء علوم الدين، د.ط، القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت.

• **الغزالي (محمد):**

- التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، ط١٢، القاهرة: دار نهضة مصر، ٢٠١٥م.

• **الفاتيكان (المجمع الفاتيكانى الثانى):**

- دستور"الوحى الإلهى"، تاريخ الإقرار ١٩٦٥/١١/١٨م. تاريخ النشر ١٩٦٥/١٢/٢٤، نقله عن اللاتينية إلى العربية الأب: يوسف الكلاس البولسى، ضمن كتاب (المجمع الفاتيكانى الثانى: دساتير، قرارات، بيانات) الذى أشرف على ترجمته وقام بالقسم الأكبر منها الأب:حنا الفاخورى، معهد القديس بولس للفلسفة واللاهوت، ط١، لبنان: المكتبة البولسية، ١٩٩٢م.

• **أبوفرحة (د. جمال الحسيني):**

- الإحسان إلى مخالف الإيمان، قراءة في الكتب المقدسة: اليهودية والمسيحية والإسلامية، العطاء والدعاء أنموذجا، بنها: مجلة كلية الآداب جامعة بنها، ٢٠١٥م.
- التعايش مع الآخر، ط٢، المدينة المنورة: دار الزمان، ٢٠١٤ م.
- الحوار مع الآخر: مفهومه وأهم أصوله وآدابه وأخطائه، ط٢، المدينة المنورة: دار الزمان، عام ٢٠١٣م.

• **قوجمان (ي):**

- قاموس عبري عربي، د.ط، بيروت: دار الجيل، عمّان: مكتبة المحتسب، ١٩٧٠م.

• **ابن قيم الجوزية (أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر):**

- أحكام أهل الذمة، تحقيق: محمد بن رياض الأحمد، ط١، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦م.
- زاد المعاد في هدي خير العباد: ط٢٧ بيروت: مؤسسة الرسالة، بيروت – الكويت: مكتبة المنار الإسلامية، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

• **كارلسون (إنجمار):**

- الإسلام وأورربا: تعايش أم مجابهة، ط١، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٣م.

• **ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي):**

- البداية والنهاية، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية،١٩٨٥م.

• **الكفوي (أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني):**

• الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق :عدنان درويش– محمد المصري، د.ط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

• **مكاريوس (الأسقف):**
• المحبة لا تسقط أبدا، ط١، إيبارشية المنيا وأبو قرقاص للأقباط الأرثوذكس، ٢٠١٦م.
• **ابن منظور (محمد بن مُكَرم بن علي المصري):**
- لسان العرب، ط١، بيروت: دار صادر، د. ت.
• **موللر (هارالد):**
- تعايش الثقافات، مشروع مضاد لهنتنجتون، ترجمة إبراهيم أبو هشهش، ط١، بيروت: دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٥م.
• **ابن هشام:**
- السيرة النبوية تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري عبد الحفيظ شلبي، د.ط، القاهرة: ط مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
• **هنتنجتون (صامويل).**
- صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، تقديم د. صلاح قنصوة، ط٢، القاهرة: شركة سطور، ١٩٩٩م.
• **اليسوعي (الأب فاضل سيداروس) وآخرون:**
- معجم اللاهوت الكتابي، ط٢، بيروت: دار المشرق، ١٩٨٨م.

* * *